خطبة أسرة مباركة

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

الأسرة لبنة المجتمع ، صلاحه بصلاحها وشقاؤه بشقائها ، ونتحدث اليوم عن أسرة مباركة ، هي مثال للأسرة المسلمة التي كان لكل فرد منها رسالة ومشروعا خدم به هذا الدين العظيم ،

هي أسرة أم سُلَيم -رضي الله عنها- هذه الصحابية الجليلة الملقبّة بالرُّمَيْصَاء، قال عنها النبي -صلى الله عليه وسلم-: “رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ“(أخرجه البخاري ومسلم)،

ولعل هذه البشارة بالجنة تثير الانتباه، وتجعلنا نتساءل: كيف وصلت هذه المرأة إلى هذه المرتبة؟

جاءها أبو طلحة الأنصاري يخطبها، وقد ترك لها مالكُ زوجُها الأول وَلَدين: أنس بن مالك والبراء بن مالك -رضي الله عنهما-فقالت أم سُلَيم -رضي الله عنها-: يا أبا طلحة، أنت لست ممن يُردّ، ولكنك مشرك نجس، وأنت محرّم عليَّ ما دمتَ مشركًا،

قالت: فإني أشهدك وأشهد نبي الله -صلى الله عليه وسلم- أنك إن أسلمت فقد رضيت بالإسلام منك، فانطلق رضي الله عنه مع إبنها أنس فأسلم عند النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: “أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فزوّجه رسول الله على الإسلام“(رواه البزار) فكان هذا الصداقُ أعظمَ صداق في المدينة المنورة .

وصار -رضي الله عنه- مضرب المثل في الاستجابة لأمر الله -تعالى-، أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: “كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِد،ِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)[آل عمران: 92]

 قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ: “لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا ـيَا رَسُولَ اللَّهِ- حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: “بَخٍ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِح،ٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ“، فَقَالَ: أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ”.

وتابع مسيرته الجهادية في كِبرَه حتى لقي الله -تعالى-مجاهدا في سبيل الله ، فعن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية: (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً)[التوبة: 41] فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شابًا وشيخًا؟ جهزوني،

فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى قبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال: جهزوني، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير” (قال الهيثمي: “رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح”) فلقي الله -تعالى- بعد عمرٍ حافل بخدمة الإسلام والجهاد في سبيل الله .

العنصر الثالث من هذه الأسرة المباركة عباد الله هو أنس بن مالك -رضي الله عنه- خادم رسول الله عشر سنوات، حرصت أمه أن يكون رفيقَ سيد الخلق -صلى الله عليه وسلم-؛ ليلتصق بنبع الخير والهداية، فكان خادمه القائم على خدمته عشر سنين ،

اما رسالته لخدمة الإسلام فقد كان من الخمسة الأكثر رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى ما يزيد على 2285 من الأحاديث؛ نقلها عنه مايزيد على ٢٨٥ من التابعين مما يدل على عظيم أثره، وعلوّ همته في تبليغ العلم الذي حصّله من الرسول صلى الله عليه وسلم

أما الشخصية الرابعة، فهو: البراء بن مالك أخو أنس بن مالك،، قال عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم-: “كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ“(أخرجه الترمذي وقال: “هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْه”).

وفي معركة تستر مع الفرس، وبعد أن حمى الوطيس

جاءه المسلمون وقالوا له: "أقسم على ربك يا براء ليهزمنهم لنا"؛

فقال: "أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيك -صلى الله عليه وسلم-".

فبّر الله بقسمه، ونصر المسلمين على الفرس، وهزموهم شر هزيمة، ورفع الله تعالى البراء شهيدا كما أراد .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا مارزقهم ، وأن يجمعنا وإياهم ونبينا صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى ، اقول ماتسمعون واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

ماوصلت هذه الأسرة لما وصلت اليه من سعادة و حياة طيبة إلا بتحقيق الإيمان الصادق ، ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، والاخلاص لله تعالى ، وفهم حقيقة هذا الدين وأنه رسالةٌ ومنهج للحياة ، ومعايشة حقائقه ومعانيه وأحكامه في حياتهم ، وأنها جعلت رسالتها نصرة هذا الدين ، قال تعالى " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)